



بالأمس القريب أخبرني أحد الأصدقاء أنه ذهب إلى أحد مزاجم الفحم.. وهناك وجد كل شيء حوله يتشع بالسواد.. حتى وجوه العمال والآلات وغيرها.. وفي وسط كل هذا السواد الداكن، وجد ما استلفت انتباهه.. لقد وجد وردة حمراء، تشد الانتباه وسط كل هذا اليأس.. ولما سأل عن سبب احتفاظها بهذا اللون الأحمر البديع، عرف السبب.. لقد حبأها الله مادة زيتية تطرد حبيبات الفحم وغيرها من الشوائب التي تتساقط على وريقاتها الحمراء، فتحفظ بجمالها برغم شناعة ما يحيط بها..

وقالوا قديماً في الأمثال: "لسانك حصانك.. إن صنته صانك.. وإن هنته هانك".. فإحذر فكلامك قد يكون سبباً لإدانتك.

واستقامة اللسان أمر ما أصعبه! وما أروع! في وسط عالم يهيم بعبارات العنف والبغضة والترويع.. فكيف يتمتع الشاب بروح الانضباط في كلماته وينتقي المناسب منها.

فالإنسان الحكيم يعني ما يقوّل، ويقوّل ما يعني.. ونادراً ما يقول "لا.. لا لست أقصد.." بل يزن كلماته بميزان الذهب، فتخرج من شفثيه جواهر الحكمة.. والواقع أن اللسان كدفة السفينة المضخمة، التي يديرها ربانها فتتحرك حسبما يشاء.. ما أكثر الذين تسببت كلماتهم في ضياع مستقبلهم، ولكن أيضاً ما أكثر الذين طلبوا معونة الله سبحانه أن تزين الحكمة كلماتهم فخرجت كلمات حلوة كانت سبباً في نجاحهم ونجاح علاقاتهم..

والشاب الحكيم هو الذي يعرف متى يتكلم؟ وكيف يتكلم؟ ومتى يصمت؟ وماذا يقول بعد أن يصمت؟ فيكون سكوتة حكمة، وكلامه حكمة.. فما أسهل الكلام من أجل ملاء الفراغ، وما أروع الكلام الذي قيل عنه: "تفاحة من ذهب في طبق من فضة.. الكلمة المقولة في أوانها..

"والواقع أن الطفل يحتاج إلى عامين ليتعلم الكلام، ويحتاج إلى عمره كله ليتعلم الصمت.. فهل يتعلمه؟

فلقد خلق الله سبحانه للإنسان أذنين مفتوحتين على الدوام، وخلق له فماً واحداً.. يضبطه بعقل راجح، ولسان به العديد من العضلات، حفظه داخل قفص من الأسنان، وأحكم بابه بشفتين.. حتى يكون مسرعاً في الاستماع.. مبطناً في التكلم.. حكيماً في انفعالاته..

فالكلمة مِلك لك طالما كانت في قلبك، ولكن إن خرجت منه، فلن تستطيع كل قوات الدنيا أن تعيدها لك...

ولعلي اذكر يوماً جاءني صديقي متألماً لكلمة جارحة خرجت منه في انفعاله غضب، وتسببت في غضب أصحابه منه ونفورهم عنه، فنصحته ونصحت نفسي معه قائلاً:

* لا يكن كل همك الكلام، فمن الكلام ما قتل..

* كلمات الحكماء تُسمع في الهدوء..

* تجنب الإطالة، فخير الكلام ما قل ودل..

* لا تقلد الآخرين.. كن نفسك..

* أحذر من اللف والدوران، فالخط المستقيم هو أقصر المسافات بين نقطتين..

* لا تقاطع غيرك.. فالمتحدث البارع هو المستمع الجيد..

* راع المقامات، فالיום أنت شاب... غداً ستكون شيخاً.. فأزرع الاحترام في شبابك لتحصد التقدير في شيخوختك..

* أنتقِ الألفاظ.. فالكلمات توحى بشخصيتك أكثر من ملابسك أو طريقة قص شعرك.. فانتقها..

* ناقش الناس فيما يفهمونه.. راع رد فعل مستمعك.. وتجنب الكلام الجارح..

* تجنب التواضع... فالحياة أقصر من أن تضعها في تواضع..

* أحذر الحركات غير المناسبة.. فأنت لا تتكلم بفمك فحسب، بل بملامح وجهك وحركات يديك ونبرات صوتك..

* تدرب أن تسجل لنفسك على جهاز التسجيل ساعة أو أكثر من حديثك التلقائي، وأعد سماعه.. فالتقييم يقود إلى التقويم..

* احترس من التعميم. كالذي يقول: "كل الناس كده.." فكلمة "معظم" أفضل..

* لغة الحياة العملية لها صوت أعلى من لغة الشفاه.. فلقد وهب الله الناس أذنين ليسمعوك، كما وهبهم عينين ليطباقوا حياتك وسلوكك على ما سمعوه

* أخيراً، لكن قبل كل شيء، تذكر أن الله سبحانه يسمعك، فإما أن يحاسبك على كلماتك البطالة، أو أن يكافئك على كلماتك النافعة..